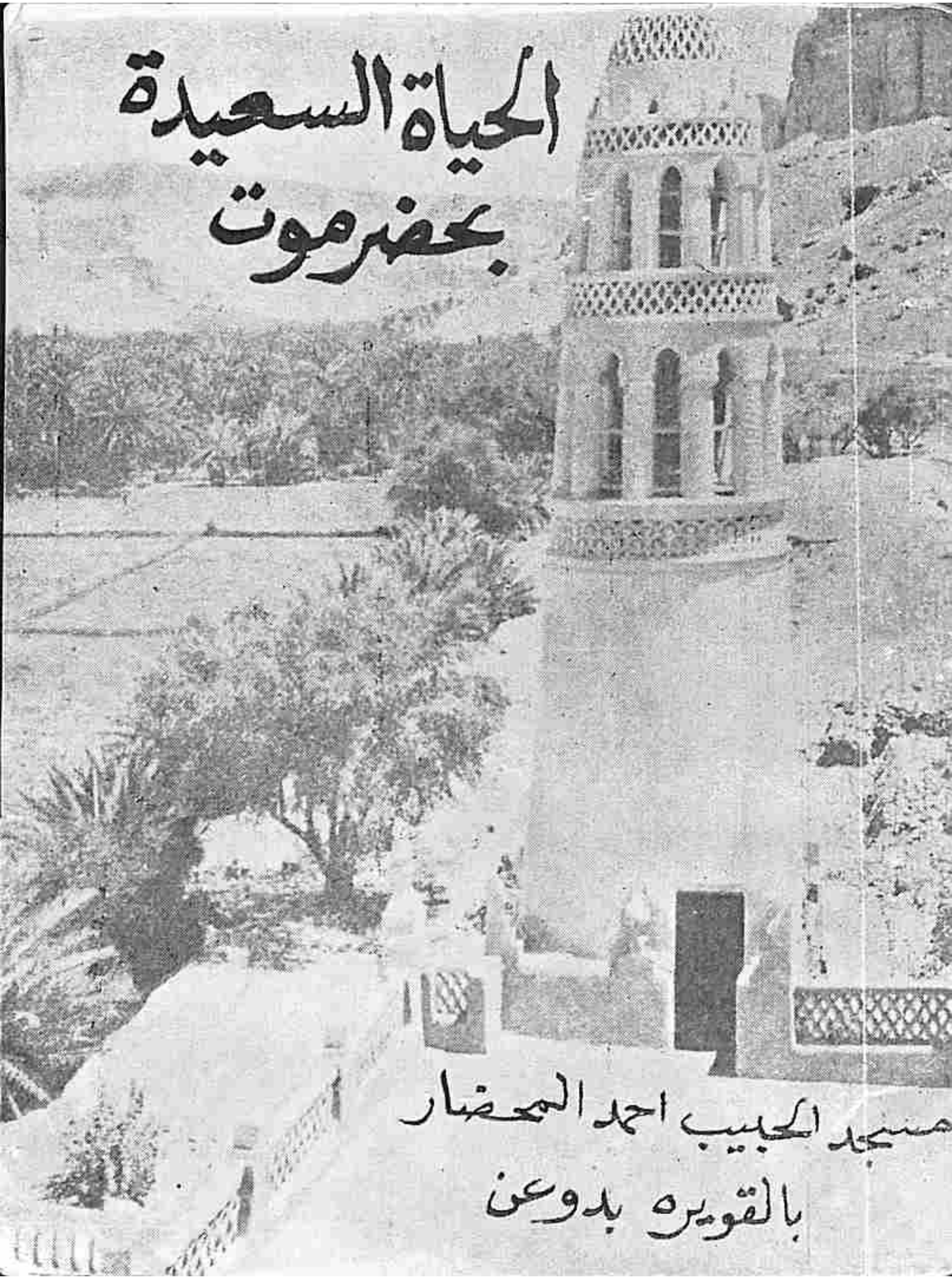
الحياة السعيدة بحضرموت



مسجد الحبيب احمد المحضار بالقويره بدوعن



سيدالطائفة المصلح العظيم

الحبيب مصطفى بن احمد بن محمد المحضار

الحياة السعيدة بحضرموت

بقلم اجل عظمائها

طبع

سنة ١٣٧٢ موافق سنة ١٩٥٣

على نفقة

السيد محمد بن سالم بن احمد بن حسن العطاس

الاهداء

اعتاد اهل العصر كما فعل بعض المؤلفين السابقين اهداء المؤلف الى من يعز عليهم .

فانا اهدي هذه الرسالة التي سميتها تيمنا باسم

الحياة السعيدة بحضرموت

الى كل حضرمي حر الشعور رقيق الاحساس محب لوطنه ومنبت اصوله . ومدافن اجداده، وذكريات تاريخهم ليكون نصب عين كل واحد منهم السعي والجد والبذل لاحياء وطنهم وعمارة بلادهم واغتنام وجود الامن وسكون العواصف وانتهاز الفرصة حتى يبقى وادي حضرموت لاهله وان لا يفعلوا فان الوادي لمن عمر، واستغل الثمر، والعاجز المتواني سيصبح في بلاده غريبا سليبا، ويصبح الوادي وقد أخذت اطيانه وفارقه سكانه وحينئذ يندم العاجز المتواني المسوف حيث لا ينفع الندم فالنشاط النشاط ! البدار البدار ! واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين .

☆ ☆ ☆ ☆

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الفتاح المعين لصلاح الدنيا والدين والصلاة والسلام على سيد المرسلين واله واصحابه والتابعين .

الطريقة الى عمارة حضرموت

اطلعنا على مكاتبة لسيادة المصلح العظيم الحبيب الامام مصطفى بن احمد المحضار الى الاخ صالح بن محمد بن عبدالله ابن الشيخ ابي بكر بن سالم جمعت اقرب الطرق وايسر الاعمال الموصلة الى عمارة اطيان حضرموت وسهولة سقيها وزرعها بنفقات تلائم حال البلاد وبها يحصل العامل على غلة من غير ان تثقل كاهله الديون ، فعسى ان يقدر قدرها القارئون ، ويرغب في العمل بها كل محب لوطنه راغب في عمارته ، وخبرة هذا الحبيب بالسواقي وعماراتها ، واودية حضرموت ومجاريها ، وما يصلحها ويليق بها معروف لدى الخاص والعام . فالى القاري الكريم المكاتبة الثمينة ، والنصيحة القيمة . قال .

الحمدلله الى مشطه . ويكفي من السفطه ، وقد وصل الينا كتاب جديد ، من اخينا الولد الصنديد ، قام من النوم في بحر العوم ، والعهد به قديم من زيارة هود سنة الاربعين ، زرنا مرة ونحن غافلين . وغارقين ندحرج السنين وكل سنة لنا عزم ولا صدق الجزم والشوق جم لحضرموت

وتلك البيوت والله يهي اسباب الوصل بجميع الاهل بمشطه وعينات
وحيث الرنات والحنات والمدارس والحضرات وحسن الجموعات
بتلك الربوعات التي طال بنا منها العهد وحد ثتني ياسعد ويا منشي
السحاب والرعد لتريم وعينات وفي مشطه لنا اخوان واخوال سادات
اجله عمروا المحله وابوك في الكرم امام وعليه السلام في دار السلام وعلى
نجاه الولد الصمصام صالح بن خالنا المرحوم محمد بن عبدالله بن عيدروس
بن حسين بن الشيخ ابي بكر بن سالم زاده الله مغانم السلام عليك يا صالح
وعلى الحبائب كلهم والاولاد واهل دارك صغارك وكبارك حوطانهم
بياسين وتبارك والسؤال عن الجميع ولا زالوا في الحفظ المنيع ونحن
وجميع الاولاد ودايرة المحاضير بعافيه وارضنا ساكنه وفيها خريف
وفي سهن عموم الرحمة لجميع الامه الا انكم اهل حضرموت تقولون ان
مطرت والا سنينا ونحن ان مطرت والا بكينا ولكن ان شاء الله ما با نبكي
الفرج قريب وقد وصل كتابك يا صالح وفرحنا به جم وودينا بجواب
مبسوط وهذا بعجل بيد المعلم عبدالله باوزير وبلسنه كفايه ولا حادث
نرفعه لكم واخبار جاوا عند كم اكثر وجاوه ايش بغينا بها اذا ما فلوسها
الصبح وعشيه الى حضرموت، وان ماشي فلوس ايش الفائدة بها،
الاولى ينظرون الى بلادهم ويعمرونها، وبايكفيهم ضمير وساقيه الى

بـاجلحبان، على عدِم وسر، وساقيه على عدم لبيت جبير، وهذه الساقيتين باتكفي خيرمن جاوه، وخير من المظالمه على قولهم « النُّقْرةَ » قالوا اذهبوا فيها اموال لوربعها في هذه السواقي ان كانها احسن واحسن واحسن، وسواقي على طول المدا، واثمار دائم، والنقره يخلونها نُخْر على عادتها، ولا لها عذر ما ترجع نخر على عادتها لانها موعود بها تبلغ حيد قـاسم، وهذا كـله لي القوه بـا يروح في التَّرَشْ، كسرة مرش، لانها ان سلمت مضرتها اكبرمن منفعتها، وخصوصا مع السيول الكبار باتضر، خصوصا لعينات، لانها حادثه بعد السد، ان سلمت مع السيول الكبار، باتلقي غيار، والله يختار، ويصلح حضرموت ويعمر اطيانها بوديـانها، ولوبدل هذه الخسارات بور اوثلاثـه ابوار بـاترعش حضرموت، وباتكون مثل الشام واحسن، باتشوف فيها من كل فاكهه لانها قابلة للعمارة، وكل شيْ بايصلح فيها، ولعادبا يسيرون اهلها مكان، وقد كانت تجي من جاوه كل سنة لكوك وملايين وكلها راحت في الترش، ايش استفدنا منها! ياريت تاجر اوفادين عالم اوولي، ماخلاف ديـار ركزوها، وحريم تزوجوها، وخروش تخرشوها ثم تخردوها، وكله راح بين الصباح والرواح، لاساقيه اعتمرت، ولا فضيله انتشرت، واكبر فضيلة عمارة الارض ان بـايعمرونها، مولى

سيوون يصقع بساقية وباتسقي الى المسيلة، ومولا بور مثله وباتسقي
الى حيد قاسم، ومولا السليل مثله وباتسقي الى حـ ـة سيوون، وشبام
موزعها قيم، وقامت حضرموت، وكفت اهلها الى سيحوت، ويقولون:
معنا ارض، اذا قاموا بهذه السواقي، وكلها لوبا يقيمونها، مابا توخذ
الذي فات في النقرة ولا نصفه ولا ربعه، وكم لنا ننادي بهذا الصوت
ولاحد سمع، يشوفونه بعيد ومحال، وهو عين الحلال، ولابا تطيب
حضرموت الا به، ولابا تذكر الا به، عندنا دوعن ضيق ماهو كما وادي
برهوت، ولا هو كما وادي ننعة لكنه معمور، واكثر ما كان بالنخيل،
لان مافيه وسع المطين، لكن كل بلد لها ضمير وساقية، اذا جاء السيل
كل ساقية تشل ملاها، وتسقي خلاها، وتفيض الى الاخرى، وهكذا
تصبح الارض خضرا تزهو بكل نبت خضير، وحضرموت بغت الا
هكذا، وخل النقرة منقورة، لفيض السيول الموفورة، لعادبا يصلها
الا الفيض، وغالب الما با تقبله هذه الاطيان، ومثل دوعن بمثل هذه
العمارة وادي عمد ورخية ودهر وعرما وجردان ووادي العين، والسيل
يملي هذه السواقي، ومن ساقية الى ساقية، الى اخر ساقية، ولو وقع
لحضرموت هكذا باتشوف الخير فيها، متراكم قوت الا وادم
والبهائيم وباتشوف البقر واللبن والسمن والروبة والسمين والخير

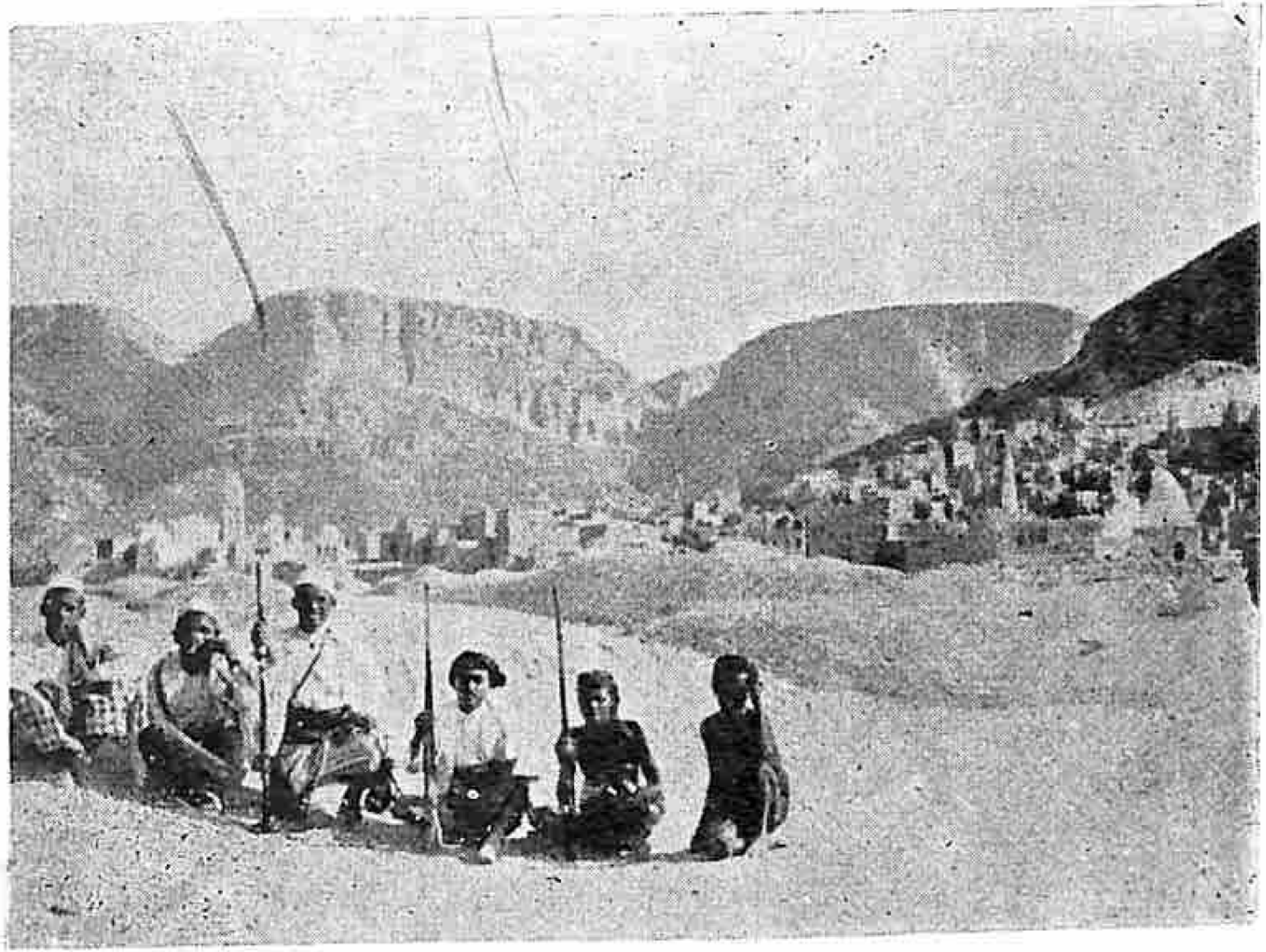
الكثير في حضرموت، لكن هممهم ضعيفة، وآراهم سخيفة، مستبعدين العمارة ومستمحلينها، مايرونها الا محال ولا صدقوا بحال، وخاوا الارض للشمس والظلال، ماصدقت عقولهم، يدحقونها برجولهم، ولا عرفوا انها ارض ماء وطين، وقابلة للعمارة، وهي عين التجارة، ولا بايعمرها الا ذومروة وجميل، ويعرف قدر العمارة ويلاقي لها (حياره)، ولا باتقبل كثرة خسارة، ماهي ربع خسارة النقرة، بل خسارة بيت من البيوت الذي بنوها للسعامر، باتعمر ثلاث جدافر، وبايصبح بها الوادي عامر، والجمال والبواقر، والغنم والعلوب الكبار، والدنوب الهدار، والعسل في كل صمار، وكله من بحر حضرموت الزغار ايش يكون دوعن ماهو كما جدفرة من جدافر حضرموت، الا انه سواقيه معمورة، ومواشيه موفورة، ملان بنشاره، غنمه وحميره وابقاره، ويدل على ذلك ان اهل حضرموت لم تزل مها جرتهم الى دوعن ووديانه، ولم نردوعني خرج حضرموت، وكله من قل عمارة الارض، ولوباتعمر حضرموت بحسب ماذكرنا مابايسير منها خادم ولا غيره باتقبضهم حضرموتهم، احياتهم وموتهم، ولعاد بايدخل دوعن حضرمي، وكل باتسعه ارضه كل ارض تكفي احياها وامواتها، كما قال الله وقدر فيها أقواتها ماشي ارض ماتكفي اهلها الا ان تركوها، وقالوا جاوه وظاها،

وابلها وطلها، وخصو الحبائيب والاولاد منا ومن لدينا الاولاد الجميع بالسلام .

المستمد والداعي مصطفى بن احمد المحضار

فاتحة شعبان سنة ١٣٦٧ .

وقد عرضنا هذه الرسالة على الحبيب العلم المفرد، والبحر الزاخر الذي ليس له حد، علوي بن طاهر الحداد والتمسنا منه ان يعلق عليها فقال: ان الحبيب مصطفى عنده من هذه المعلومات شيء كثير، ولم يكتب هذه الرسالة بقصد ايضاح ماعنده جميعا . والا فوادي حضرموت كما سمعته من شيخنا الحبيب العارف بالله احمد بن حسن العطاس كان جميعه مزرعة واحدة واول ماانكشف التراب واظهر ماتحته من الحصى تحت البلد المعروفة باسم رِحَاب . وقد قال السيد محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس والاحياء وصاحب المؤلفات الشهيرة حين ذكر وادي عدم انه واد كبير بحضرموت عدم قبل الاسلام . وسمعت سيدي الحبيب احمد بن حسن العطاس يقول ان وضعية وادي حضرموت كانت على غير ماهي عليه اليوم، فقد كانت اودية حضرموت السفلى تسيل مغربة حتى تفضي الى الفوهة هكذا قال، ومعنى هذا انها وقعت حركات وزلازل تغير بها وجه الوادي، ومما يدل على هذا ايضا ضيق



منظر لبعض اطراف حريضه

الوادي في اسفل حضرموت . ولما عدم وادي عدِمْ (١) وجرف الاطيان ورأى الاقدمون من سكان حضرموت ان دماره سيؤدي الى جدب الوادي وقحولته وانكشاف طينه وفساد مزارعه، اجتهدوا حتى جعلوا سداً بأسفل حضرموت ليحفظ عليهم الماء والطين ويكسر جري السيول حتى لا تجرف الارض . ولكن بعد ذلك انهد هذا السد الحضرمي الاسفل فقحلت بلاد اسفل حضرموت وقد كانت معمورة . وقد كانت بها بلد تنعِه الشهيرة ومنها سافر وفد الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكنهم اضطروا بسبب قحولة البلاد الى الهجرة باجمعهم الى البصرة سنة ٢٤٠ كما قاله الحافظ علي بن عمر الدار قطني .

اما هذا السد فهو على مسافة ست (٦) ساعات تقريباً من مفضى وادي سنا، ووادي سَنَا يسيل من الشرق الى الغرب . وقد اختاروا لموضع السد محلا بين جبلين عرضه ثمانمائة ذراع فأقاموا به سداً ارتفاعه اثنا عشر ذراعا من الجبل الى الجبل ولكن السيول العارمة في قديم الدهر كسرت جانبا من هذا السد . ونخرت نحو مائتي ذراع في الوادي، وبقيت نحو ستمائة ذراع عالية، وفوقها بقية من السد . وقد فتحوا في نفس الجبل الى الرمل وغيره بابين ليسيل عليهما مازاد

---

(١) هكذا ينطقون به بكسر العين

عن الحاجة من الماء . وعلى هذين البابين حجر يسده . ومن نظر في ذينك المحلين لايجد فيها اثر الصنعة كأن آثار النحت والنقب قد ذهبت بطول الزمن .

والجبال هناك ليست مرتفعة كما هي بحضرموت بل هي متدانية ، وليس في تلك الجبال ولا حجرة يمكن عمارة السد بها . فكأن الاقدمين قد استنفدوا جميع مافيها من احجار ، ولواعيد ذلك السد فليس هناك اي مضرة على البلاد من جرائه . اما السيول فكل سيل يأتي سيضع خلف السد جانبا من الطفل ، ويقال له الطمي والغِرْيَن والغَرْيَل ايضا ، فلوارتفع ذلك الطين اثني عشر ذراعا على طول السد هذا (وهذا لايكون الا بعد عشرات اومئات السنين) فان يضر احدا ، وانما يأتي الضرر لوامتلأ جميع الاجراف والنقر التي قد حفرتها السيول السابقة . ولن تمتلئ الا بعد مئات اوالوف السنين ، وحينئذ فستعلو الارض على السد نفسه . ولن يقف خلف السد بل سيعلوه ويفيض عليه .

ان من تصور الاطيان الباقية بحضرموت ولم تجرفها السيول وتصور الحال لو كانت معمورة وكانت السيول التي تأتي ولا تقف الا بالبحر تسقيها كلها ، لا نتقل ذهنه حالا الى تصور العدد العظيم

من المراكب التي ستنقل حاصلات البلاد الى الخارج . فنبدأ بذكر الجدفرة المسماة جِدْفَرَةْ بحران وهي نحو خمسة اميال، لواخذت لها ساقية عظيمة من تحت حوطة النور تمر تحت الديبات، وساقية اخرى من اسفله من وادي العين . وامتدت هذه السواقي تسقى الى الباطنة فأي شيء من الرزق والاطعمة تحتاج اليه البلاد بعد هذا .

قد تأملنا جد فرة بحران فوجدنا فيها آثارا خفية لثلاث سواقي قديمة . واخبرني بعض اهل الخبرة والتردد اليها انهم وجدوا فيها على حد تعبيره (تنانير قعار النخل) ثم ارجع الى حدبة حريضة وما بعدها الى الحرة، فتلك البلاد كانت معمورة وجدا فرها كانت مزروعة فكان يقال (عندل) هي حضرموت كما قال ذلك ابن خرداذبه . فاذا سرت من الباطنة جاءت صحاري المسخرة وهي اطيان كريمة طيبة وتستقبل جميع اودية دوعن ووادي العين ووادي عمد، وقد قال اهل التاريخ ان شبام كانت قريبة من الجبل ولكن جاء في قديم الزمن سيل اخذ نحو ثلثها .

ولا يخفى انه يمكن ان تساق من الوادي سواق تمر مابين الحزم وحصون الهاجري وحصون آل سويد ويدخل معها وادي ابن علي وتمر تحت البلدان الموجودة الآن بجانب الجبل وتسقي ماعلى شمالها

من الاطيان الى سيوون وخلف سيوون. وقد كان في الوادي قريبا (من اَلمِحترِقة) سدقديم خربته السيول وبقيت منه بقايا .

ثم اذا عدنا الى وادي عدم فهذا الوادي العظيم اوحفظ ماؤه لسقى حضرموت كلها ولكن الآن نكتفي بساقية كما قال الحبيب مصطفى تؤخذ وتمر في جانب المسيلة وتمر تحت السويري الى بيت جبير والجرب. وتؤخذ ساقية اخرى من عند حصن ابن ظوبان تمر بلحف الجبل فوق شروج آل عيدروس ثم تمر مغربة ثم منجدة ثم مغربة حتى الى سمل وماحو اليها فتسقي هذه الجوانب الشمالية كلها، اي التي الى ناحية الشمال ويقول اهل حضرموت نجد (نيد) .

اما جد فرة باجلحبان كما قال الحبيب مصطفى فهذه كالجدافر التي بأعلى الوادي قد نضب عنها الماء من زمن بعيد، ولكن يمكن اقامة ساقية بسهولة اذا قدم ضميرها في اعلى الوادي فيما يحاذي الجبل الذي يسمى «حيد قاسم» الى الغرب وستعود جنة خضراء .

ثم انه لايخفى على من قرأ هذا ان هذه الجدافر قد مرت بها ازمان طوال بعد ان انجرف الوادي وهبط الماء . والسيول السابقة التي خربتها قد جرفت شحمتها التي تسمى شحمة الارض . فلوقدر الله عمارة هذه السواقي لم تكن صالحة للزراعة إلا بعد ان تأتي اليها سيول

متعددة بحيث تضع فيها الطين المشتمل على المواد اللازمة للزراعة.
وسيحتاج في اول امرها الى كثير من الدمان المسمى بالسماد فهو من ضروريات الزراعة وقد امر النبي صلى الله عليه واله وسلم الانصار ان يضعوافي مزارعهم الجماجم. وسماد العظام لايزال الى اليوم هو خيرما يوضع للارز في جهات جاوا وملايا وهذا التعليق المختصر جعلناه اجابة لطالب الحبيب محمد بن سالم بن الامام احمد بن حسن العطاس وفيه الكفاية وفوق كل ذي علم عليم.

ثم عن لي ان اتمم هذا التعليق بالمواضيع الآتية. زيادة للفائدة ورجاء حصول النفع، وعسى ان ينهض اهل هذا الوطن لعمارته. فلابد لحصول الراحة من التعب من قبل.

بصرت بالراحة العظمى فلم ارها * تنال الا على جسر من التعب

توزع المياه وتخفيف الضغط

ان في حفر السواقي ضمان الماء للزراعة بايسر مؤنة وفيه توزيع مياه السيول المتجمعة وكسر عرامتها. وتخفيف حدة تيارها، وبذلك يخف اويمتنع بالكلية جرفها جوانب الوادي وحفرها باطنه. واحداث

النقرة بعد النقرة . فان النقرة الموجودة اليوم قريبا من عينات هي النقرة الثالثة اوالرابعة من نقار حدثت في الزمن الاول . ومن توسم بقايا الاطيان القديمة عرف ان مستواها كان في الزمن القديم . هو مستوى الوادي فما زالت النقر تحدث وتتسع حتى تمأ كل مستوى الوادي جميعه وحدث له مستوى اخفض . وهكذا ومن اراد ان يتحقق ذلك فلينظر في بقايا قطع من جدافر (١) طين قديمه في الجانب الشمالي قبل ان يصل الى جد فرة الشرمة . ولينظر الجدافر شمال الوادي من حصون الا بايضة في جزع الصم وما كان اسفل منه . واذا توزع الماء في السواقي كان تخفيفا عن سد النقرة فلا تهدمه السيول كما جرفته من قبل . فان السيول او (السيل الهميم) المخرب لم يحدث ولم يوجد في الازمنة القريبة . ولكن لا يبعد ان يكون ذلك في يوم ما . واذا نظرنا الى ما مضى منها ليكون عبرة لما يستقبل فلنتذكر ما حفظه التاريخ من السيول في القرون الماضية .

---

(١) الجدافر جمع جد فرة وهي مواضع متسعة كالصحاري وهي مزارع هبط عنها مجرى الوادي فجفت وتصلبت .

السيول الكبيرة

ففي سنة ٧٧٥ ﻫ جاء سيل عظيم بدوعن فأخذ نخل رحبة دوعن جميعه واعادها كان لم يكن حتى وصل بعض النخل بخريفه الى الكسر.

وفي سنة ٨٥٣ ﻫ عمر ضمير وادي ثبي والنفقة من عامر بن طاهر سلطان اليمن لذلك العهد بنحو الفي دينار ذهبا فجاء سيل من وادي ثبي وحده فاتلفه.

وفي سنة ٩٣٩ جاء سيل من دوعن قلع من نخيله اربعة الاف نخله. واتلف الذبور وجرف اطيانا. ولم يبق منها في مواضع منها الا القليل. وعلا ماء السيل الى مواضع غير معهودة.

وفي سنة ٩٧٠ وقعت امطار في الساحل والداخل من ليلة الثلاثاء من شوال الى ليلة الخميس. وجاء الى وادي حضرموت من وديانه اعلا واسفل سيل عظيم غرق به خلائق من النساء والرجال من المسفلة وتريم. وكان ذلك يوم عيدالفطر فحملهم الى البحر الى حيريج. ومنهم من رماه الموج الى الشحر وما والاه. وفيه نساء بحليتهن. وتعلق قليل منهم بالنخل. واخرب بيوتا كثيرة. واخذ من النخيل مالا يحصى. وجرف اطيان بالحاف في المسيلة. واطيان

الغياض التي بها . وصار ذلك رحبة من الاحجار لا من الطين واخذ اكثر نخيل الغيل الاسفل والغيل الاعلا وعاوب الريدة . ونحو مائة وسبعين من ميفع وقاع علوب الريدة واخذ جميع نخيل وادي ذهبان شبام .

وجاء السيل الهميم في نجم الحوت ليلة الاربعاء ١٦ من شهر رمضان سنة ١١٢٤ فاخذ دورا وذبورا ونخيلا . ومن الناس عددا كبيرا . وحمل ابلا وغنما حتى الحيوانات الوحشية . وكشف عن كنوز . ور كم اطيانا وخشبا في مواضع . وكان اكثر التلف في بيت مسلمة . ومسيلة عدم . وبطحاء شبام ونخلها . واخذ من العلوب شيئا كثيرا واصيب بالفقر عدد من الناس اخذت نخيلهم . واما المشقاص فد مرّت غياضه وجرفت ذبوره . قال المؤرخ قال لي رجل من الساده ال ابي علوي ذهبت علينا في المسيلة تسعمائة نخلة .

ووصف الامام القطب الحبيب عبدالله الحداد سيل عدم الذي وقع في شوال فقال : واما وادي عدم فحصل فيه سيل غالب هائل . ووصل الى تريم قبل الشرق اومعه بعد ان جاز على البيت (اي بيت مسلمة) والغيل الاسفل فأخذ نخيلها وبعض ناس بها اكثرهم بالغيل . واخذ النخيل والغرف التي بالمسيله . والتي على جوانبها حتى كأن لم يكن شيئا مذكورا الا ماشاء الله . ودخل قرية النخر بعينات وتربها .



حدائق غنا وقصور رائعه بتريم

وحصلت السلامة . واخرب دور قسم الحوطة الا القليل ومسجد الجامع بها . وجرت شاغية كبيرة قبلي مسجد ابراهيم الا انه حصل من تدبير العزيز العليم انها جرت من جانب اخر الى المسيلة الكبيرة والا ربما أن السيل يدخل دمون ويتلف فيه اه ومن عرف هذه الاماكن تخيل ان ما بينهما قد صار غبة من غبب البحر .

وقال رضي الله عنه في موضع اخر

واما السيل الواقع على حسب مارايتم وسمعتم فحصل منه بتريم ونواحيها واسفل منها من عينات وقسم ال ابي عاوي مالم يكن قد سمعناه من السيول الماضية . ولا سيل الاكايل الاول والثاني الذي احدهما بعد السبعين والتسع المائة . والثاني قبل الخمسين والالف . فذهبت به من تريم النخيل والغرف التي عليها شي لايحد ولا يوصف الا بالاجمال . ونحو عشرة مساجد بنيت على جانب المسيلة حتى مسجد زين العابدين هدم الكل اوالاكثر . وجرى في نخر عينات على التربة وبين الدور . وخرب اكثر ديار قسم ومسجد الجامع بها . ومحى التربة . واما النفوس الادمية فلم يذهب منها بتريم ونواحيها الا نحو العشرين الى الثلاثين والسادة بحمدالله سالمون . وهذه من الايات

الكبرى المقتضية لنهاية الاتعاظ. لمن اتعظ واعتبر قال الله تعالى وما نرسل بالايات الا تخويفا. وهذا جدير بان يسمى بالطوفان لا بالسيل. وقال في موضع اخر: واخذ بتريم من البيت وحواليه نحو ثلاثين نفسا من غير الغيول ساه ونواحيها فجماعة مستكثرة اه ومنذ سنين حدث سيل بن رميدان ولا يزال الناس يذكرونه ومع ذلك فلم يكن من السيول العامة الجارفة. ووقعت سيول ذكر بعضها في مكاتبات الحبيب علي بن حسن العطاس.

اجدب بلاد الله

ينبغي لنا معاشر سكان حضرموت اذا اردنا سكناها وعزمنا عليه عن صدق ان نزن الامور. بميزان الصدق. وهو ان نقر كما جرى المثل ان وادي برهوت اجدب ارض الله بل قد جعله بعضهم حديثا مرويا، وحالها هذا هو الواقع منذ ازمنة طويلة ومع حالها هذا. فقد ابتليت في جميع ادوارها بالفتن التي لا تسكن. وبهجرات قبائل اليها لا تنقطع، فكانوا يقاتلون اهلها حتى يجلوهم ويحلوا محلهم او يغزوهم، واول ماعرف من ذلك حملات حكومة سبا على دولة حضرموت حتى اخضعتها. ودمرت سدودها. وابنيتها الشهيرة فيما كتب عنها اليونان،

ثم جاءت كندة بجموعها فدام الحرب بينها وبين قبيلة حضرموت الفي سنة كما قال بعض المؤرخين، ثم جاء الاسلام فكان من حظ سكانها ان ارتدت بهم كندة مرتين ذاقوا من عواقبها الويل بعد الويل، ثم تداولها امراء ثقيف فانزلوا بها العذاب الاليم. وضاقت باهلها الارض بما رحبت مما ينالهم من الظلم والجور. فاختاروا الثورة على دين الخوارج. ومالهم من دين، بعد قوله صلوات الله عليه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية كما في الاحاديث المتواترة. فذهبوا بزعمهم يجاهدون فقتلوا ذرية المهاجرين والانصار بالمدينة. فدهمتهم جنود الامويين. وفعلت بهم الافاعيل، وشردوهم الى حضرموت واقتحموها عليهم، ولكنَّ هؤلاء عادوا وفعلوا فعلتهم بابن عطية. فعادت جيوش بني امية فجعلوهم كأمس الدابر، حتى بقروا بطون النساء الحوامل، وارتكسوا ثالثا واجتمع من اجتمع منهم يشعلون النار حتى وافتهم الجنود العباسية مع معن بن زائدة فقتل منهم خمسة عشر الفا. وقيلت في ذلك الاشعار، ولا شك ان اهل ذلك العصر كان بهم شذوذ اي شذوذ. ثم فعل بهم ال يعفر مافعلوا وهلم جرا الى زمن الفوضى. فكانت الحروب لا تسكن بين كندة وحضرموت وحمير الى حدود الستمائة. فجاء الغز قبيلة من ياجوج وماجوج ففعلوا ماهو مذكور في التاريخ. ثم جاءتهم قبائل قضاعة

كالسيل فدمرت بلادهم، ولحقتهم الاكراد ففعلوا مافعلوا، وجاء خلفهم ال طاهر العامريـ، ثم حرب قبائل قضاعة فيما بينهم حتى تم الغلب لبني كثير، ولكن عادت الحرب فيما بينهم وبين غيرهم حتى جاءت قبائل اليمن. بقيادة الشريف الامام احمد بن حسن سيل الليل. بعد ان أخفروا ذمته، ثم جاءت قبائل (سرو) يافع و (سَرْو) حمير وما والاها فتمت لهم مايقارب ثلاثين غَزْوَة في مدة ١٤٨ سنة على حضرموت تخللتها غزوة المكرمي ثم غزوات بن قملا. حتى جاءت الدولة الكثيرية الثانية فقاومتها دولة يافعية. ووقع من جراء تلك الحروب ماهو معلوم، كل ذلك وقع على هذا القطر الجدب.

وقد كان اهله، في زمن دولة حضرموت (العادية القديمة) ودولة سبأ على شيء من الراحة سبب ان واردات الشرق الاقصى والهند الادنى والاقصى وجزائره يصل منها الى بلادهم جانب كبير، وهم يرحلون به الى سبأ ومعين، وهؤلاء يذهبون به الى مصر والشام، ثم انقطع ذلك البتة بتحول التجارة الى طريق البحر الاحمر والخليج الفارسي، ولكنهم لم يتركو الاسفار فكان مصدر معيشتهم منها، ومن عناية الله بهم انهم كانوا اول من نشر الاسلام بالشرق الاقصى.

افقر البلاد

يقول علماء الاقتصاد: ان افقر البلاد هي التي تورد حاجاتها من الخارج ولا تصدر شيئا وهذه حال بلاد حضرموت. فلا يوجد ببلادهم اي حاصل من معدن اوغلة يتحصلون منها على دريهمات يشترون بها مالا يوجد لديهم من الاطعمة وانما يسافرون بالجملة الى الخارج فيكسبون ماتيسر ثم يعودون لياكلوه في بلادهم واولادهم.

الفخر الكاذب

ولما تحسن احوال افراد منهم ببلاد الهند الاقصى والهند مالوا الى الرفاهية واظهار الغنى والزهو ووصف بلادهم وخيراتها حتى قال لهم الشريف عبدالله امير مكة: انا نعرف حضرموت وحقارة عيشها ولكنكم تبالغون في مدحها. وهذا يضركم ويطمع الدول باحتلال بلادكم، حينئذ تكلفكم مالا تستطيعون.

وكانت هذه الكلمة من الحكمة التي ظهر صدقها للناس، فتصاول دولتا الكثيري والقعيطي عليها ولم يكف عجز حضرموت عن اطعام اهلها حتى جاوءا لها بالوف من الزنوج يقاسمونهم العيش، فحملت الضرورة السكان على الرحيل عنها زرافات ووحدانا، ولقد سمعت

المرحوم السيد حسين بن حامد المحضار يقول انا احصينا من يسافر كل سنة فبلغوا خمسة الاف، ولكن ماذا يفعل؟ فالامر كما قيل ان احد الدول العربية ارسل جندا تاديبا لاهل حضرموت على اساءة صدرت منهم. فما كان من قائد الجند الا ان كتب الى مليكه يقول: انا بيلاد ان تركنابها هذا الجند جاعوا، وان ارجعناه عنهم ضاعوا.

ولوقامت الحرب المنتظرة لكانت حضرموت اول ضحية للجوع، وفي المجاعة القريبة عبرة، وفيما سبق في التاريخ عبر فتذكروا قحط بلعظام وقحط باقشاش ونظائرهما. وما عهد امس ببعيد.

اما هذا القحط الموجود اليوم منذ اثني عشر سنة فهو قحط عام في العالم سببه احتكار الدول للاطعمة فيما يسمونه (كنترول) والدول تفرق الاطعمة التي بيدها بين المحتكرين الافراد. وبما يلحقه من النفقات والضرائب والمشاهرات وما يلزم من الارباح لا يصل الا وقد ارتفعت أثمانه فاستمر الغلاء، ويضاف الى ذلك فقد النقد من الذهب والفضة، ولكن لو كانت بالنقد لما ذهب الغلاء والشاهد في ذلك الحجاز فان معاملتهم بالذهب والفضة. والغلاء عندهم مثل الغلاء بحضرموت اواشد.

هل يحصل رخاء بحضرموت

يقول قائلون: ان الرخاء ولو فعلنا ما فعلنا ان يوجد بحضرموت في المستقبل، ولوفرضنا انه وجد فلا ننتفع به. والسبب هذه الضرائب والمكوس المرتفعة يوما بعد يوم. وربما يوضع الكنترول ايضا على غلات البلاد ولا سيما مع توقع الحرب، ويستشهدون بارقام حسابية للدخل والخرج وكم يبقى وكم يذهب. ثم كثرة ماتنفقه الحكومة على مشاريع الامن مما يكفي بعضه. وكثرة المراكز والمحافظات مع ضعف البلاد وحقارتها مما يكفي بعضه، وهذا عدى مالا بدمنه من اصلاح الطرق واقامة السدود. هؤلاء يرون ان حضرموت آيلة الى الخلو من السكان الا بقايا يعيشون على القشف الشديد، وقد كلمت بعض هؤلاء، وقلت له وانت فماذا تفعل فقال لي: انا سأذهب الى بلد يعيش اهله منه. لا بلد يعيش اهله من بلدان الناس. وقد ذهب كما احب.

الشركات

واما فكرة اقامة الشركات للعمارة فقد كان من سوء حظها ان تقدمت الشركة الدوعنية بغير هدى من دين ولا عقل ولا تجربة فاودى بها عملها فصارت مثلا في الاخرين، وحلت عند العقلاء محل عين

الذئب ، واخذوا منها عبرة .

المكاين

وهؤلاء ايضا يعتقدون ان المكاين ايضا لاتؤدي الا الى خسارة ويستدلون على ذلك بامور لاتقبل على علاتها وليست دائمة . وكيفما كان الواقع فلا يقدر هؤلاء على انكار تكاثر الاطعمة بوادي حضرموت فما سمعنا منذ بلغنا اوان التمييز الى اليوم ان قوافل من اسفل حضرموت تجلب البر والذرة بل قال الحبيب احمد المحضار .

لاولا برها نطحنه في وقت الاعياد

ولكن القوافل الان تترى بعد ان اقيمت المكاين ، وقد اختبرت بنفسي — على استعجال — بعض المواضع . فرايت تكاثر غرس النخل الذي هو مغنم البلاد لاشك فيه . وهو الذي ينبغي توجيه الهمم اليه . ولهذه الفكرة يعمل السيد الخبير ابوبكر بن شيخ الكاف .

وما وقع من الخسائر على بعض الناس فهو اما بسبب الجراد والتفريط . ومن التفريط عدم القدرة على تعريض مايتلف من مسامير وقطع ويقال لها الغيارات . اوصعوبة الحصول عليها ، اوغلاء ثمنها

غلاء فوق مايتصور وجريان الاحتكار فيها. اوحيلولة من له نفوذ من الوسائطدونها طلبا للبخشيش الكبير، في الامر الصغير، وسمعنا روايات كثيرة عن بعضهم. وهذه امور يمكن القضاء عليها اذا التفتت الحكومة الى ذلك. وينبغي ان يذكر هوءلاء ان الموت الجارف الذي وقع بحضرموت ابان الحرب انما وقع بسبب فقد الاطعمة لا بسبب غلائها فحسب، وان اللوم في احتراق الزرع راجع الى صاحبه. وانما جاء من عدم يقظة مشتري المكينة. وكان عليه قبل ان يشتريها ان يشترط الحصول على مقدار كبير من مختلف التغايير. اما قولهم: انها تحتاج الى مقادير كبيرة من النفط الغالي الثمن بالنسبة الى حاصل الزراعة. فجوابه ان الزراعة لابدلها من خسائر. ولا شيء من المعاش يحصل بالهوينى. ويبالغ اهل اليمن في مثلهم فقالوا: لا تعطيك الارض مدا حتى تصرف عليها مدين. ومع هذا فقد سمعنا اناساً يقولون: انهم ربحوا واخرون يترددون. ونحن مع القائلين بالربح لمن احسن العمل وتيقظ.

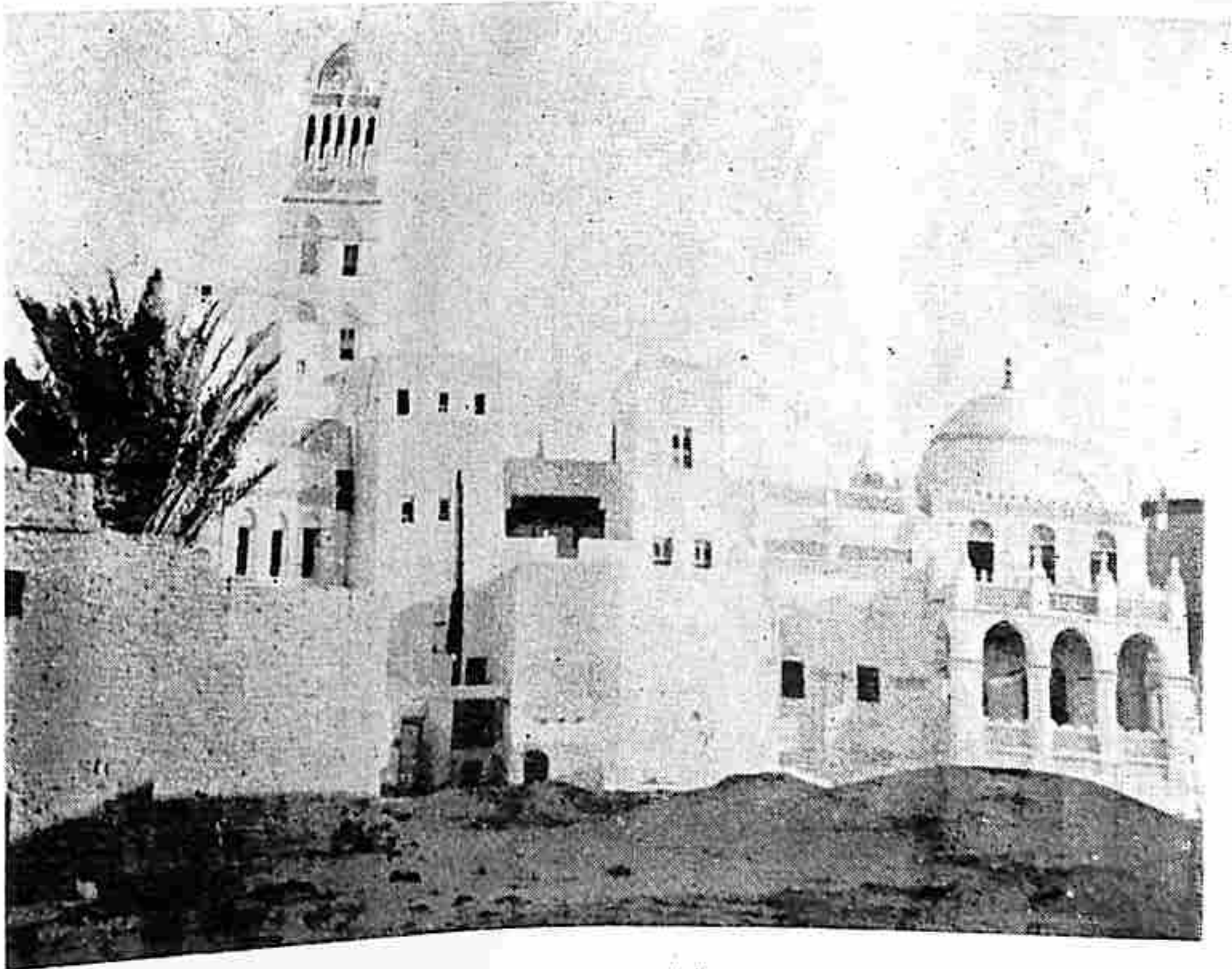
واما الجراد فهو ياكل ما وجد وليس عنده تفرقة بين زرع المطر اوزرع المسنى اوالمكينة.

الحصول على الماء بغير نفقة او بنفقة غير دائمة

اما الحصول عليه بالمكاين والمساني فلابد في ذلك من النفقة وهي انما تختلف بالقل والكثر. والحصول عليه بالسواقي المستجدة المأخوذة من الاودية لا بدلها من نفقة وصبر في اول الامر. وبقيت وسيلتان اخريان نذكرهما فيما يأتي.

ألقني او الكظائم

القِنِيّ جمع قنًا. وَقنًا جمع قَنَاةٍ والكِظَامَة جمع كظائم وخلاصة معناها انها الابار التي تحفر في الارض متتابعة ليستخرج ماؤها ويسيح على وجه الارض، وفي الحديث فيما سقت السماء والقني العشور، قال في لسان العرب: والكظامة قناة في باطن الارض يجري فيها الماء وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه واله وسلم اتى كظامة قوم فتوضأ منها ومسح على خفيه، الكظامة كالقناة وجمعها كظائم قال ابو عبيدة سألت الاصمعي عنها واهل العلم من اهل الحجاز فقالوا هي ابار متنا سقة تحفر ويباعد بينها ثم يخرق مابين كل بئرين بقناة تؤدي الماء من الاولى الى التي تليها تحت الارض فتجتمع مياهها



مسجد باعلوي بحريضه وقبة موءسسه الحبيب عبدالله بن علوي العطاس

جارية. ثم تخرج عند منتهاها جارية فتسح على وجه الارض، وفي حديث عبدالله بن عمر واذا رأيت مكة قد بعجت كظائم وساوى بناؤها رؤوس الجبال فاعلم ان الامر قد اظلك. اهـ. ولما مكن الله العرب بايمانهم وصبرهم في الارض في قرون الاسلام الاولى واستعمرهم فيها بالايمان والتوحيد والعمل الصالح والعدل. وان يكون الناس عبادالله. والبلاد بلاد الله. لا استيثار باموال بيت المال ولا تقديم في المصالح لغني على فقير، ولا لشريف على مشروف، ولا عربي على عجمي، ولا عجمي على عربي. هداهم الله بصبرهم وعدلهم اذ ذاك الى عمارة الارض فعمروها بالانهار والقني وحسبك انهم اجروا من نهر دجلة الى اطيان البصرة ثلاثين الف نهر، وعمروا الارض التي ليس فيها انهار بالقني وما رأيت في حضرموت شيئا من ذلك شيئا في الوقت الحاضر، وما سمعت عنها فيما مضى وعملها ممكن هناك بسهولة.

واذا ابتدئ بالبير الاولى في موضع مرتفع عن الارض المزروعة واخذ ارتفاع قاع البئر وانخفاض الأرض المزروعة بالميزان الخشبي المعروف ذي الشاقول. وحفرت البير كان من السهل حفر سرداب او كما يقول العرب: قناة يمر فيها الماء الى المزرعة.

ولا باس بعد ذلك ان يسقف السرداب (القناة) ويترك

في اعلاها فتحات للضوء.

ولما سرت في عهد قريب لزيارة مسجد الصحابي امير اليمن قديما وصهر نجيب حضرموت معاذ بن جبل الانصاري رضي الله عنه بالجند، حدثني رفقائي عن نهر غزير الماء عظيم النفع ووصفوه لي بوصف القناة. ومن المعلوم عندنا ان ماء آبار دوعن هي اعمق ما كان في اودية حضرموت ولكنني هذه المرة جئت الى بلد القرين. وارتقيت ذلك القرين بل القرن لزيارة بعض الارحام. فرأيت باعلا القرن بئرا غزيرة الماء فاشرفت عليها فاذا هي قريبة، ونظرت في جانبها الشمالي (الحادري) الى منحدر قد نحيفته الامطار، فلا يحتاج الا الى فتق ليس بالكبير، يخرج به الماء سائلا على وجه الارض يتسلسل بين ديارهم نهرا جاريا، و كذلك فيما لوحفروا سردابا موازيا لموضع البير بعد اخذ مقدار عمقه ومقدار عمق الانحدار في الموضع المنحدر الذي بجانبه ثم حفر السرداب، ومن المعلوم ان ذلك الماء انما هو ماء عين من الجبل احتبس هناك ولم يجد منفذا. وليس من الماء العام المنخفض في المواضع العميقة الذي يكون منه ماء الا بار المعتادة. وانما هذا ماء عين خاصة. ونظرت الى البئر في اعلا بلد الخريبة قيل لي ان عمقها سبعون قامة فلو اخذ بميزان الانحدار لكانت السبعين قامة توازي

موضعا اعلا من سوق البلد على مازرى. واقرب من ذلك الابار التي هي في وسط البلد. ولكن الطريق الى شق قناة منها مسدودة لاشتباك الديار وازورار الشوارع. اللهم الا من جانبها الجنوبي. وقد رأيت في بعض غياض المكلا اناسا يجرون ماء بعد ان حفروا اله، اشبه شيء بما ذكرنا الا انهم لايجهدون انفسهم في حفر آبار متتالية ليستكثروا من الماء، بل يقنعون بما حصل. والالة ذات الشاقول لم تزل معروفة وقد رايتها عند شيخنا الحبيب محمد بن طاهر الحداد عند شروعه في عمارة ساقية في داخل شعب بلده قيدون كما عمر ساقية لجد فرة الزنجي التي انتفع بها الناس.

الابار الارتوازية

قال الله تعالى وانزلنا من السماء ماء فاسكناه في الارض. فالماء الذي يغوص في الارض ويبقى فيها بين الطين الابيض الذي يسميه اهل حضرموت الطينة والطينة تمنع تسربه منها فلووجدنا موضعا عاليا قد اكتنز به ماء ولا سيما ان كان له مدد يجري من محل اخر وثقبنا اليه موضع قصبة من حديد اوقناة قصب، فان الماء ينفجر عاليا الى الجو بقدر ارتفاع الماء الاصيل المتصل به والمستمد منه. وهذه

الابار الارتوازية كان عملها معروفا لاهل الصين بقاعدة اسهل من قاعدة الاوروبيين. ولكن العلم بوجود ماء تحت الارض بهذه الصفة يحتاج الى هدهد كهدهد سليمان صلوات الله عليه. وكثيرا مايذهب في التجارب اموال جمة. وقد راينا ابارا ارتوازية بجاوه وغيرها وفي جزيرة سيلا ويسي. ومنها ماهو قريب القعر لايزيد على مائة وخمسين مترا. ورأيت في جاكرتا بئرا ارتوازيا عمقها ثمانمائة متر. والمسئلة مسئلة حظ ونصيب.

الربع الخالي

الغالب على ظنون اهل حضرموت ان الربع الخالي بحر من الرمل السافي يغرق فيه من مشى فيه وهذا موجود ولكن في بعض مواضع معروفة منه. منها ماهو مسافة يومين، ومنها ماهو مملحة مهيلة كالرمل المهيل، وفيه بعض مواضع رملها ناعم كدقيق البر تقلبه الريح من جانب الى جانب، ولكن هذه المواضع ليست الاجزأ صغيرا منه. وبقيت مواضع مسافتها اثني عشر يوما وبعضها ستة عشر يوما، فيها مياه خرارة منها العذب ومنها مافيه ملوحه ولكنه صالح للزرع، وفيه عدود. ومايشبه الكرفان والغدران، ومسايل يسيل فيها الماء. منها العذب، ومنها ماهو

دون ذلك ومنها المالح او كما يقول الناس العيقة ولكن الاغلب هو الذي يمكن الزرع عليه. ومما يقرب من نجد حضرموت الشمالي الى مسافة اربعة ايام واقل واكثر في السواهب (جمع سهب) الماء فيها عمقه مابين قامة ونصف قامة وفي المواضع المسماة حد بواه - باحة فارس - باحت سلم - باحت جمل عمق البير قامة واحدة. وفي حد ابد. وحد اجمن قامتان، وكذلك في ام ملس وسبخت علي محسن. وفيا - سبخت نجره، ومن قامتين الى ثلاث قامات في عروق الركعة وفي عروق المنيير. وفي عروق الضحية - خدد دحي. بي ذياب. بن حمود - خرخر، ام غرب، وفي شرقي دكك ثلاث قامات.

وفي الاودية التي تسيل من النجد الى الشمال ناحية الرمل توجد مواضع بهاطين من احسن الاطيان واخصبها، يجود زرعه وثمره اضعاف مابحضرموت، وفي الرمل مواضع لا يوجد بها ماء اولم يكتشف بها ماء، فان البوادي لا تعرف البحث ولا الحفر. وتغلب عليها الاوهام والاخبار الكاذبة، وفيما وراء نجد الصيعر ابار شهيرة، ولكنها ليست من المواضع القريبة الماء. والله ينظر الى حضرموت بنظر رحمة ينقذهم بها مما يعانون، فهم منذ قرون، مشتتون في بلاد الله شرقا وغربا، يبحثون على طعام لهم. ولمن خلفوه ورائهم ببلادهم، ومع ذلك فلم

يسلموا طول تلك القرون من هجرات الاقوام الفاتحة افواهها لا لابتلاع طعامهم فقط، بل ولاخذ دراهمهم ان وجدت فعسى ان يكون لها في العهد الحاضر مايتحسن به الحال .

المثل العجيب

ان للحبيب العارف الغارف، من اللطائف والمعارف . احمد بن محمد المحضار مثلا عجيبا في اهل حضرموت . وكونهم لا يجدون رزقا الا في البلدان البعيدة . والاقطار الشاسعة . فقال : ان الله لما خلق اقطار الارض واسكن فيها ذرية آدم دعى الجد الاعلى لاهل كل قطر، فكلما دعى جدا منهم قال له : دونك رزق اولادك . فياخذه ويحمد الله، فدعى جد اهل الصين وجد اهل جاوه وجدود اهل الهند وفارس والشام ومصر وغيرها . وكلما دعى جدا منهم اجاب . وسلمه رزقه ورزق ذريته فقبل واخذه وحمد الله تعالى . حتى جاء دور جد الحضارم فقال له : هاـ خذ رزقك ورزق ذريتك . فقال : ماهذا الاشيء قليل . قال فرمى رب العزة رزقه مشتتا في اقطار العالم . وقال : هيا اذهبوا فالقطوه وفتشوا عنه . قال فبهذا اضطر الحضارمة الى السفر الى كل قطر، وابتلوا بالاسفار البعيدة، الى الاقطار النائية، يلقطون ارزاقهم بل وارزاق

المهاجرين اليهم. فهم يخدمون انفسهم ويتحملون خدمة اعظم لرزق غيرهم. فقلما تجد موضعا ليس فيه حضرمي حمله الجوع والضر على الضرب في اقطار الارض. الا الصابرون على قشف العيش وقليل ماهم. والله المسئول ان يبدل حال حضرموت بخير منه. وييسر لهم عمارة بلادهم. والرجوع الى حال الزهد كما كان عليه من سلف منهم. وقد قال في الغرر مامعناه: ان اهل حضرموت لايجدون من المعاش الا قدر الضرورة وكان اعتمادهم على مايحصل من غلة تمر نخلهم المحدود. فاذا حصلوه تركوا بعضه قوتا لبقية سنتهم. وما زاد اخذوا منه كساء لهم وما بقي للوازم الضرورية، ولانعدام اسباب الغنا والتوسع في حضرموت قال الحبيب الحسين بن عمر بن عبدالرحمن العطاس من قشبت شعرته من السفر قشبت شعرته من الرزق. اي فرزق اهل حضرموت من السفر فعسى ان يتبدل الحال والله لطيف خبير.

هيا عجلوا بالعمارة

انا نهيب ونصيح باهل حضرموت ان يعجلوا بعمارة بلادهم فان بلاد العالم الخارجي ضاقت باهلها. وكل متضيق منهم من بلاده لا يزال يتذكر اي بلاد اجد فيها شبرا من الارض اعمره واعيش فيه.

فاذا تركتم بلادكم بورا وخرابا. فسياتيكم مهاجرون من البحر، بدلا عمن كان يهاجر اليكم من البر، وحينئذ سيملكون اطيانكم العامرة والغامرة، ويضعون يدهم على كل شبر منها، ويطردونكم الى الرمل اوالى البحر، ونحن في زمن يقضي بان من ملك رقبة الارض ملك لامحالة الحكم، وبالعكس بحق النتيج. ومن فتح بلدا ملكه. وفي ماجرى لفلسطين واهلها العبرة واي عبرة، والله يتولى الصالحين.

٭ ٭ ٭ ٭

طبع بمطبعة الاحمدية 101 جالن سلطان سنقافورا.